العرب
الجمعة 2020/03/27
السنة 42 العدد 11659

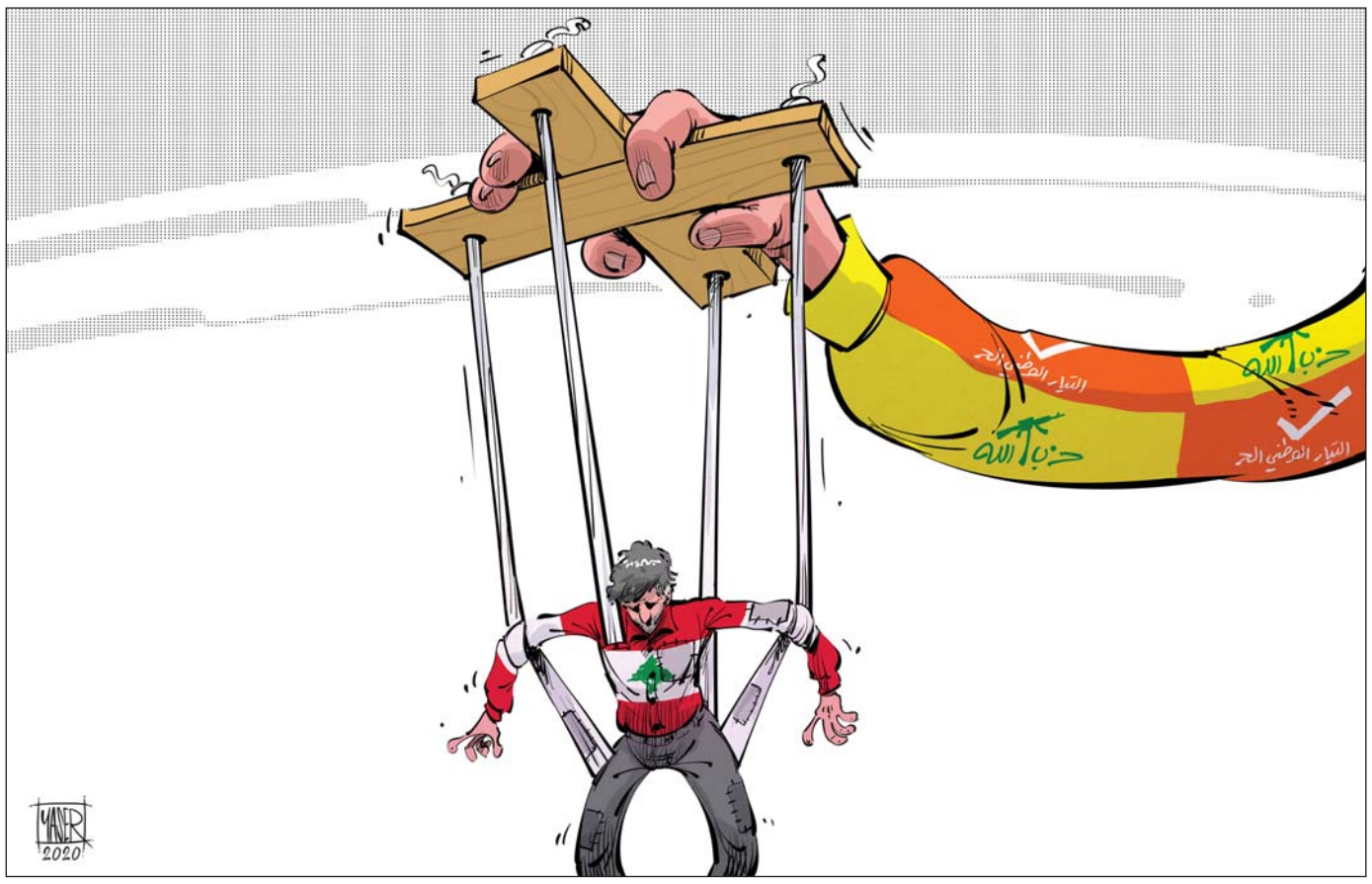

حبل العمالة قصير

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

إن أغلب الذين يختارون الانخراط في سلك العملاء للأجنبي يكونون من ضعاف النفوس الانتهازيين الفاشلين الذين يستعجلون الحصول على المال والجاه، حتى لو باعوا أنفسهم وأوطانهم وأهلهم، أجمعين.

ومعروف، من تجارب الشعوب العديدة المتعاقبة أن الأجنبي يضع مصالحه هو فوق كل اعتبار. وبالتالي فإن قيمة أكبر عميل من عملائه لا تساوي عنده قيمة بعوضة. وحين تحكم تلك المصالح، فإنه يرمي عملاءه في سلال المهملات بأسرع من رمشة عين.

ودون استعراض لأسماء ومناصب فإن في جميع الدولَ ذات العاهات المستديمة التي تشبه دولتنا الفاشلة، أمثلةً عديدة قديمة وجديدة انتهى فيها العملاء الذين نصّبهم الأجنبي رؤساء ووزراء ومدراء وسفراء، إما قتلى تحت أقدام شعوبهم، وإما سجناء، وإما طريدين هاربين يتخفّون في البلاد البعيدة تلاحقهم العدالة ليل نهار.

معروف، من تجارب الشعوب المتعاقبة أن الأجنبي يضع مصالحه فوق كل اعتبار. وبالتالي فإن قيمة أكبر عميل من عملائه لا تساوي عنده قيمة بعوضة

أقول هذا الكلام وأنا أرى كيف عصفت كورونا وعقوبات الرئيس الأميركي دونالد ترامب بجارتنا إيران، وكيف أصبحت تتسول المال لإعانتها على تجاوز مأزقها الخانق العظيم.

وبسب كورونا وعقوبات ترامب تقطعت السبل بإذاعات وجرائد وأحزاب وميليشيات كانت تتمول من سيدها الطاعم الكاسي الحميم، فصارت، هي الأخرى، تتسول. وحين لم يسعفها، هو، أو أي أجنبي آخر غيره، راحت تتقلص وتتضاءل ويحمل أصحابها أنقاضهم ويغادرون الميدان.

أعرف جرائد، هنا في أميركا، كانت سمينة جدا، صفحاتها بالعشرات، وتطبع بمئات الآلاف من النسخ أسبوعيا، وتُنثر في الأسواق مجانا، وفي الطرقات، وهي تناضل دفاعا عن قائدة محور الممانعة ومحررة القدس، وتلعن أعداءها وتشهر بهم، وتنعتهم بالعمالة، وبخيانة فلسطين والإسلام.

وها هي اليوم صغيرة وهزيلة، وتطبع فقط بثلاثة آلاف نسخة، وقد تهبط إلى ألف، وقد اختفى حماسها القديم، وخفت شتائمها لمن يعارض الله ورسوله وآله ووليه الفقيه.

وأعرف منظمات إسلامية، في أميركا، كانت إلى ما قبل كورونا وعقوبات ترامب، تنفق الملايين على المهرجانات الخطابية وحلقات الذكر، وعلى نشر البيانات والكتب، لمناصرة "المجاهدين" اليمنيين والعراقيين واللبنانيين والفلسطينيين والسوريين، ولتلعن كل من يقف ضدهم ويرفض إسلامهم، وكل من يمدّ خصومهم بالمال والسلاح لوقف "جهادهم"، وحماية الجماهير من دينهم المغشوش. واليوم، فقط، خَفَتَ صوتُها، وقلَّ فعالُها، وتوقّف صراخها وعويلها وضجيجها، وأصبحت أقرب إلى صمت القبور.

لم يحسبوا حساب الزمن الغدار، ولم يتوقعوا أن تأتي كورونا وعقوبات ترامب لتجعلا طاعمَهم وكاسيَهم يتوقف عن إرضاعهم، فجأة وعلى غير انتظار. ففي العام 2014 قال المرشد الأعلى الإيراني، علي خامنئي، إن تدخلات بلاده في سوريا "تستند إلى المصلحة، رغم دكتاتورية الرئيس السوري بشار الأسد".

ونقل القتيل قائد فيلق القدس في الحرس الثوري، قاسم سليماني، عن وليه الفقيه، قوله إن "إيران تنظر إلى سوريا من باب المصلحة، بغض النظر عن اعتبار بشار الأسد دكتاتورا". وقال سليماني إن "بعض الأصدقاء الذين يتبوؤون مناصب كبيرة في الداخل والخارج كانوا ينصحون بعدم التدخل في سوريا والعراق، ويطالبون بالدفاع عن الثورة باحترام". وقد "قال أحدهم، هل نذهب لندافع عن الدكتاتوريين؟، لكن المرشد أجابه: هل ننظر لأي حاكم للدول التي نقيم علاقات معها هل هو دكتاتور أم لا؟ نحن نراعي مصالحنا".

وفي ما يخصنا نحن في العراق، فإن الخراب الذين عصف بالعراق والعراقيين، في السنوات العشر الأخيرة، هو جنونٌ يبدو في ظاهره، ناتجا عن صراع داخلي محض، ولكنه، في حقيقته، ليس كذلك. فالفاعل الحقيقي الذي تسبّب فيه معروفٌ ومُشخّص بأنه الآمر الخارجي المُحرض عليه. إلا أن العتب ليس كلّه عليه، بلّ علىٰ من ارتضىٰ أن يكون له خادما ينفّذ مخططاته، على حساب وطنه وأهله، ويضع حياته وأسرته رهينة لرضاه وإرادته ومصالحه، يتصرّف به وبها كما يشاء، ومتىٰ يشاء.

ورغم أن الإخوة "المجاهدين" في البيت الشيعي الإيراني يتحمّلون الجزء الأكبر من المسؤولية عنه، بسبب فسادهم وطموحهم غير المشروع إلى الانفراد بالسلطة، واحتكارها، وسعيهم المَرَضي إلى جعل الدولة ملكاً لهم ولأبنائهم وأصهارهم وأفراد حماياتهم وأعضاء أحزابهم أو عشائرهم، إلا أن ما حدث وما يحدث هو مسؤولية متساوية يتحملها جميع الشركاء في المحاصصة، وأهمُهم وفي مقدمتهم الساسة الأكراد في الحزبين الكبيرين، وقادة الأحزاب والتجمعات والتنظيمات الانتهازية السنية، وبعض الحواشي الأخرى اللاصقة بأصحاب السلطة.

ألم يجعلهم يخونون بلادهم، ويبطشون بشعبهم، وبأبناء طوائفهم وقومياتهم قبل غيرهم، وبأن يسرقوا أموالهم، ليستحقوا، في النهاية، غضبة جماهيرهم، وهو منشغل عنهم، وغارق إلى أذنيه في مداواة جراحه، أولا، دون جراحهم، ويتركهم في انتظار حساب عسير، وحيدين، دون نصير أو معين؟ ألم نقل إن حبل الكذب والعمالة والخيانة قصير قصير؟

في غياب الشجاعة... لبنان إلى كارثة!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تحت جنح انتشار وباء كورونا، تحصل أمور خطيرة في دول معيّنة من بينها لبنان. فجأة أعلنت الحكومة اللبنانية أن لبنان سيتوقف عن تسديد ديونه الخارجية. وهي ديون بالعُملة الصعبة تراكمت منذ العام 1998. نعم منذ العام 1998، تاريخ وصول إميل لحّود إلى رئاسة الجمهورية بهدف واحد وحيد هو الانتقام من رفيق الحريري.

تؤكّد ذلك لغة الأرقام. قبل العام 1998، لم يكن الدين الخارجي للبنان يتجاوز خمسة أو ستة مليارات دولار في أسوأ تقدير. استخدم الدَّيْن وقتذاك من أجل إعادة بناء البنية التحتية التي دمرتها حروب استمرّت منذ 1975 إلى 1990، تاريخ خروج ميشال عون من قصر بعبدا الذي كان فيه رئيسا لحكومة موقتة لا هدف لها سوى انتخاب رئيس جديد للجمهورية بعد انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميّل في أيلول – سبتمبر 1988. لم يقبل ميشال عون مغادرة القصر الجمهوري إلا بعد خوض حربين، الأولى مع المسلمين والأخرى مع قسم من المسيحيين بهدف استكمال تدمير ما لم يدمّر بعد من البلد.

لماذا لا تعلن الحكومة الحالية برئاسة حسّان دياب صراحة أن لبنان أفلس، وأن عليها الإتيان بمن يشير إليها بما يتوجّب عليها عمله للخروج من الانهيار... هذا إذا كان مثل هذا الخروج ما زال ممكنا.

في تاريخه الحديث، أي منذ الاستقلال في العام 1943، لعب المنطق دوره في تمكين لبنان من تجاوز أزمات كثيرة عصفت بالمنطقة. كان مهمّا ألا يكون رئيس الجمهورية الماروني شخصا متهوّرا. لذلك، لم يسقط لبنان في فخّ حرب العام 1967. حافظ على أرضه، كلّ أرضه، لأنّ رئيس الجمهورية، وقتذاك، كان شارل حلو. كان شارل حلو رجلا مثقّفا ومسالما وصاحب عقل راجح، أصرّ على بقاء لبنان خارج الحرب التي لا تزال المنطقة كلّها تعاني إلى الآن من تداعياتها.

لم يدرك اللبنانيون أهمّية بقاء بلدهم خارج تلك الحرب، التي كلّفت مصر وسوريا والأردن الكثير، إلّا بعد انتهائها. لم يستوعبوا أن ما أنقذ بلدهم كان درهم منطق ودرهما آخر من الواقعية امتلكهما رئيس الجمهورية. وفّر هذان الدرهمان على أهل الجنوب ولبنان الكثير. لكنّ لغة العقل لم تدم طويلا، إذ اضطر لبنان في العام 1969 إلى إقحام نفسه في صراع لا أفق له باستثناء أفق دخوله نفقا مظلما لم يخرج منه إلى اليوم.

ما قصة دخول لبنان النفق المظلم في غاية البساطة. عندما تغلب المزايدات على كلّ ما عداها، لا يعود مكان للغة العقل. في تشرين الثاني – نوفمبر من العام 1969، أُجبر لبنان على توقيع اتفاق القاهرة مع منظمة التحرير الفلسطينية. شرّع ذلك أبوابه أمام ما هو أسوأ من مشاركته في حرب 1967. كان المنطق يقول إنّ مثل هذا الاتفاق سيجلب الخراب على لبنان، أقلّه لسبب واحد. هذا السبب يتمثل في أن الفلسطينيين لا يمكن أن يحرروا شبرا من أرضهم انطلاقا من جنوب لبنان. استخدم ياسر عرفات، الزعيم التاريخي للشعب الفلسطيني، هذه الورقة التي اسمها لبنان إلى أبعد حدود. لم تأخذه إلى أبعد من اتفاق أوسلو الذي يشكّ كثيرون في أنّه قرأه قبل أن يوقّع عليه في حديقة البيت الأبيض في أيلول – سبتمبر من العام 1993 مع رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين.

لم يكن مصير لبنان يهمّ ياسر عرفات في أيّ وقت. ولكن هل من الطبيعي ألا يهمّ اللبنانيين؟ الكلام هنا عن لبنانيين ما زالوا يرفعون شعار "المقاومة" و"الممانعة"، بمن فيه رئيس الجمهورية الحالي وصهره جبران باسيل الذي يعتقد أنّ "حزب الله" ممرّ إجباري للوصول إلى رئاسة الجمهورية.

حسنا، حصل الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان في أيّار – مايو من العام 2000. يوجد قرار صادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يؤكّد أن إسرائيل طبّقت القرار 425. ليس طبيعيا أن يبقى هناك من ينادي بـ"طريق القدس" انطلاقا من جنوب لبنان. لا بدّ من امتلاك ما يكفي من الشجاعة للقول إن لبنان في حال يرثى لها وأن الدَّيْنَ المترتب عليه هو نتيجة سلسلة من المواقف الخاطئة التي قامت على المزايدات. لا تطعم المزايدات خبزا ولا تبني دولا. كلّ ما يمكن أن تؤدّي إليه هو ما آل إليه لبنان.

لماذا لا تعلن الحكومة الحالية برئاسة حسّان دياب صراحة أن لبنان أفلس، وأن عليها الإتيان بمن يشير إليها بما يتوجّب عليها عمله للخروج من الانهيار

بتهرّبه من دفع ديونه، يدفع لبنان حاليا ثمن أمرين لم يتبدلا منذ العام 1969 الأمر الأوّل هو المزايدات والابتعاد عن المنطق والحكمة. مارس معظم السنّة المزايدات في 1969، وهي انتقلت الآن إلى أن تصبح مزايدات ذات طابع شيعي بعد كلّ الجهود التي مارستها إيران منذ العام 1982 لتغيير طبيعة هذه الطائفة في لبنان.

الأمر الآخر هو استعداد عدد لا بأس به من الزعماء الموارنة لعمل أيّ شيء كي يكون أحدهم رئيسا للجمهورية. وهذا ما حصل بالفعل منذ توقيع اتفاق كنيسة مار مخايل بين ميشال عون وحسن نصرالله في شباط – فبراير من العام 2006. تأكّد في تلك اللحظة غياب أي إدراك لدى كثير من المسيحيين لخطورة العودة إلى الذهنية التي أدت إلى اتفاق القاهرة المشؤوم.

لدى العودة إلى لغة الأرقام، يتبيّن أنّ ملفّ الكهرباء تسبّب بنصف الدين اللبناني الذي يبلغ نحو 86 مليار دولار. ملفّ الكهرباء هذا مسؤول عنه "التيّار الوطني الحر"، التابع لرئيس الجمهورية وجبران باسيل المصر على إدارة هذا الملفّ منذ ما يزيد على عشرة أعوام بتغطية من "حزب الله".

الأهمّ من ذلك كلّه، أن أكثر ما يفتقده لبنان حاليا هو الشجاعة والحكمة والمنطق، بديلا من مواضيع الإنشاء ونصائح "أبوملحم" (شخصية شعبية لبنانية اشتهرت في ستينات القرن الماضي عبر حلقات تلفزيونية). توجد في البلد حكومة لا تستطيع أن تقول للبنانيين ما مصير ودائعهم في المصارف، حكومة عاجزة عن استيعاب أبعاد إفلاس البلد، ومعنى انهيار النظام المصرفي فيه، إضافة بالطبع إلى خطر وجود رئيس للجمهورية لا يريد الاعتراف بأنّ رفع شعار "المقاومة" بمثابة انضمام إلى جوقة المتاجرين بلبنان، وأنّ لا عيب في الاستعانة بصندوق النقد الدولي.

اعتمد لبنان طويلا على العرب وعلى تحويلات اللبنانيين العاملين في دول الخليج. اعتمد على نوع من التقاضي الأميركي عن "حزب الله" وعن رغبة في عدم هزّ الوضع الداخلي. أمور كثيرة تغيّرت الآن. ما لم يتغيّر هو ما قاد إلى كارثة اتفاق القاهرة قبل نصف قرن من الزمن... عدم حصول هذا التغيير سيأخذ لبنان إلى كارثة أكبر من كارثة اتفاق القاهرة وما استتبعه!

شائعات عن انقلاب في العراق يطلقها حزب ولاية الفقيه

د. باهرة الشيخلي
كاتبة عراقية

ليس رعب فايروس كورونا هو الذي يساور أتباع الولي الفقيه الإيراني علي خامنئي ووكلاءه في العراق، بل ربما أن هؤلاء الأتباع والوكلاء استثمروا، بنحو أو بآخر، هذا الفايروس ليديموا حياة الفايروس، الذي يضرب العراق منذ نحو 17 سنة.

ويرى بعض الناس أن الرعب دفع بعض المعممين، وفي مقدمتهم زعيم التيار الصدري، مقتدى الصدر، إلى الطلب من البسطاء أن يكسروا الحظر المفروض بسبب كورونا ويخرجوا، بنحو جماعي، إلى إحياء ذكرى الإمام السابع لدى الشيعة الاثني عشرية موسىٰ بن جعفر، حتىٰ وإن نتج عن ذلك تفشي الوباء، لأن المهم عندهم أن لا تخلو الشوارع من الناس فيهجم عليهم التغيير، وليطمئنوا إلى أن الكثير من البسطاء مازالوا يمتثلون لأوامرهم وأنهم سيدافعون عنهم إذا دهمهم أي خطر، وزادوا في وتيرة نشر الخرافات ليقووا انخداع أولئك البسطاء بهم.

في المحن الكبرى تنتعش الشائعات وتتعدد الأساطير، وهناك كلام في الشارع العراقي عن نية الولايات المتحدة القيام بانقلاب عسكري للتخلّص من الطبقة السياسية الحالية في العراق والإتيان بغيرها، وهذه الشائعات يطلقها حزب ولاية الفقيه في محاولة لتحويل الاتجاهات للتآمر على ثورة الشباب والنيل من ثوارها، بعد أن انتظم الحراك الثوري وأصبح له آليات عمل مؤثرة بانبثاق اتحاد تنسيقيات الثورة العراقية، الذي وضع الثورة على طريق مرحلة جديدة قد تكون حاسمة لتطيح بكل أصنام ولاية الفقيه وتطهّر أرض العراق من رجس مستوطني المنطقة الخضراء. والخبطة الخرافية إحدى المخرجات الساذجة، التي خرجت من تحت عباءة القوى الظلامية وهي بالاتجاه المضاد لثورة الحرية ومحاولة إعاقة سبيلها الوطني.

وما ساعد على استيلاد شائعات كثيرة حول الانقلاب انسحاب قوات أميركية من بعض القواعد في محافظة الأنبار، بنحو مفاجئ، وبالرغم من أن مسؤولا أمنيا في المحافظة كذّب ذلك، وتبين أن هذه القوات "المنسحبة" توجهت إلى الإمارات لإجراء مناورة عسكرية، إلا أن قناة الجزيرة وجدتها فرصة لاختلاق قصة احتلال الأطراف لذلك، مؤشرات الولايات المتحدة شكّلت مدينة مترامية كبغداد وطبّلت زاعمة أن هناك غير معلنة إلى أن

حكومة تضم شخصيات عسكرية ومدنية عراقية لم تكشف هويتها.

وفي هذه الأثناء صدرت من بعض الجهات المجهولة تحذيرات للمواطنين العراقيين بالابتعاد عن مقرّات الحشد الإرهابي والميليشيات لأنها ستكون هدفا لطائرات قوات التحالف في أي لحظة، وطلبت من العراقيين تخزين المواد الغذائية قدر المستطاع، وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى عند بدء "معركة التحرير"، وعدم التعرّض لـ"جحافل التحرير" لأنها سترد على أي تعرض بكل قوة، وعدم الانجرار وراء دعوات العملاء، الذين يريدون للعراقيين أن يكونوا وقودا لحرب مع أميركا، وما إلى ذلك من نصائح تجعل الشائعة قريبة إلى الواقع في أذهان البسطاء والسذج.

وظهرت تفسيرات كثيرة لهذه الشائعات منها الرعب، الذي يستبدّ بوكلاء إيران لشعورهم بالرفض الشعبي لهم ولإيران، وذهب تفسير آخر إلى أن إيران تعدّ لأمر جلل في العراق لتثبيت وكلائها ومنها تفجير مرقد من المراقد الشيعية الموجودة في العراق يرجّح أنه مرقد الإمام موسىٰ الكاظم وحفيده الإمام التاسع محمد الجواد في مدينة الكاظمية شمالي بغداد، والقول إن القوات الأميركية هي التي فجرته لتأجيج الغضب عليها وإشعال فتنة طائفية بين السنّة والشيعة على منوال ما حدث بتفجير ضريح الإمامين العاشر والحادي عشر، علي الهادي والحسن العسكري، في سامراء شمال بغداد.

حتىٰ إذا نجحت إيران ووكلاؤها بتنفيذ مخطط مثل هذا فإنه سيفشل، لأنه بني على حسابات أن العراقيين بعد أكتوبر 2019، هم العراقيون ما قبل أكتوبر، دون أن يفطنوا للتغييرات التي أحدثتها الثورة في بنية المجتمع ووعيه.

لن يحرر بلاد الرافدين إلا فتيانها لذلك يتعيّن على صحافة الحرية وإعلام الثورة أن يكشفا هذه الأضاليل.